

## بركه خان

نول مسلم من ملوك التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام

- ٢ -

كان جنكيز أعطى ابنه الأكبر جوجي الأرض التي شمالي  
نهر سيحون حيث قامت من قبل مملكة قراختاي ، ولكن  
جوجي سار صوب الغرب فأنحأ ثم خالف على أبيه ، ومات في حياة  
والده ، فورت ملكه ابنه الأكبر أوردا

وكان لجوجي أربعة أبناء آخرين : باتو ونوقاتيمور وشيبان  
ونوغاي ، تولواهم وذرياتهم الملك في شرقي أوربا ، صحراء القفجاق  
وما يتصل بها كما تقدم ، وقد دام الملك في شعبة منهم حكمت  
في القريم حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري ( ١٧٨٣ م ) .  
وفي شعبة أخرى ملكت في بخارى وخيره إلى أواخر القرن  
الثالث عشر الهجري ( التاسع عشر الميلادي )

وكان أعظمهم شأنًا وأوسعهم سلطانًا باتو وذريته ؛ ودام  
الملك لهم زهاء قرن ونصف ( ٦٢١ - ٧٦٠ ق )<sup>(١)</sup> . وكانت دار  
ملكهم مدينة سراي على نهر إتل ( نهر الفلجان )

- ٣ -

توفي باتو سنة ٦٥٣ تخلفه ابنه سرتاق سنة واحدة ، ثم  
تولى بركة ( بركاي ) عشر سنين بين سنتي ٦٥٤ و ٦٦٤  
بركاي حفيد جنكيز وسليل هؤلاء المغول الذي دمروا  
الحضارة الإسلامية ، دخل في أخوة الإسلام ، وصار من بناء  
الحضارة الإسلامية ، وحماة علمائها ، فلم يعرف بعد باسم بركاي ،  
ولكنه صار « أبا المعالي ناصر الدين بركة خان » ، وحالف  
المسلمين ولا سيما ملوك مصر على ابن عمه هلاكو ليرد عدوانه  
عن المسلمين ، ويكف يده عن تدمير حضارتهم .

كان إسلامه من بركات الشيخ نجم الدين كبري الصوفي  
المعروف ؛ فقد بث دعاه في الأقطار للدعوة إلى الإسلام . وكان  
من تلاميذه الشيخ سيف الدين البخارزي فأرسله إلى بخارى  
وأرسل سيف الدين أحد تلاميذه إلى بركاي فدعاه إلى الإسلام ،  
وبين له عقائده وشرائعه ، فاستجاب له وأسلم ، ثم ذهب إلى  
الشيخ البخارزي ، فأكرمه وأجده وجدد إسلامه ورجع إلى  
دار ملكه يدعو إلى الإسلام ، وبمقامه شعائره ، ويرى علماءه ،  
فأسلمت زوجته ججك خاتون واتخذت مسجداً من الخيام يحمل  
مهما إن سارت

(١) من أشق الأبحاث التاريخية تاريخ دول المغول وتبين أزمته  
ومواطنها .

- ١ -

انقسمت مملكة  
جنكيز خان بين بنيه  
الأربعة: جوجي وجفتاي  
وأوكتاي وتولوي ،  
وذرياتهم . تسلط تولوي  
أصغر أبنائه على مغولستان  
الشرقية ، فورت ملك  
أبيه في مملكته لأصيلة .



وكان من أولاده الذي فتحوا إيران والعراق ، وأزالوا الخلافة  
العباسية من بغداد . وتولى أوكتاي على جونغاريا في أواسط  
آسيا . وملك جفتاي فيما وراء النهر . وحكم بنو جوجي وهو  
أكبر بني جنكيز في صحراء القفجاق ( دشت قفجاق )  
وما يجاورها .

الصحيفة الفرء لا تسمح بالتصريح ، فإننا لا نتمدى النطاق  
المرسوم إذا قد إن هذه « الفكرة » تلاق مقاومة من أهوائنا  
وغاياتنا المتنازعة في الداخل ، ومن المطامع والصالح المتضاربة في  
الخارج . وهذه المقاومة نفسها كفيلة بتحقيق هذه الفكرة  
في يوم يقاس قربه أو بمداه بمقياس استعدادنا للتضحية  
في سبيلها .

فيرجال السياسة والاقتصاد ، ورجال القانون والاجتماع ،  
أيها المهيمون على مقدرات هذا الشرق ، المسؤولون عن  
مصيره ، اتخذوا اليوم من ذكرى هذا الحادث التاريخي  
العظيم - التي يحتفل بها مئات الملايين من المسلمين ويشاركهم  
فيها مواطنون من سائر المذاهب - اتخذوا لنا ولكم من هذه  
الذكرى عظة ، ومن هذا العيد عبرة ا

أنظروهم الجليل

وغيرها ، يقودهم الإسلام إلى مصر نجدة للمسلمين على حرب هلاكه وأشياعه

بلغ أمراء بركة دمشق في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ستين وستائة ، وهم زهاء مائة معهم نساؤهم وأولادهم ، وأخبروا بانتصار بركة على هلاكو فشاعت البشرى في الشام ومصر ، وسر الملك الظاهر بقدمهم ، وكتب إلى نوابه في الشام فأكرموا وفادتهم وأرسل إليهم الأقوات والخلع . ثم ساروا إلى مصر ، فبلغوا القاهرة يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة ، وخرج السلطان للقائهم يوم السبت ، وخرج أهل القاهرة والقساط لرؤيتهم ، واحتفوا بهم حفاوة عظيمة ، وأزولوا في دور بنيت لهم في اللوق ، وأرسل إليهم السلطان الأموال والخيل والخلع ولعب معهم الكرة وأمر أكابرهم على مائة فارس . وأسلموا وحسن إسلامهم . ولما بلغ التار ما نال هؤلاء من الكرامة في مصر وفدوا جماعة بعد أخرى . وقدم البريدي من حلب في ذي القعدة سنة إحدى وستين بأن جماعة من التار يزيد عددهم على الألف ومعهم ثلاثمائة فارس من المثل قادمون إلى مصر ، فأمر السلطان بالحفاوة بهم ، ثم استقبلهم حين قدموا كما استقبل إخوانهم من قبل ولحقت بهم هؤلاء جماعات أخر

وتوات الرسائل بين الملك الظاهر بيبرس وبين الملك بركة خان وحرصه الظاهر على جهاد هلاكو ومحاربة التار ولو كانوا أهله « فإن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل عشيرته الأقرين وجاهد قريشاً ، وليس الإسلام قولاً باللسان ، والجهاد أحد ماله من الأركان »

كذلك سبق بنو بتر إلى الإسلام وشرع الدين الحنيف بفتح قلوب التار ، ويدخلهم في إخوانته وينظمهم في جماعته ويطلبهم بمحضارته . وهزم بالدعوة الظافرين بالسيف ، وغلب في السلم الغالبين في الحرب ، ولم تستعص قسوة التار على هدى الإسلام ، ولا كبرياؤهم على عزته ، ولا عداوتهم على مودته ، ولا لإفسادهم على إصلاحه ، ولا تخريبهم على تعميره . وإنما لآية من آيات هذا الدين ، وحجة على من زعم أن الناس دخلوا في الإسلام كارهين

هجر الراهب هزام (للكلام صلة)

وكانت ناصر الدين بركة الخليفة المستعصم وبايعه وأرسل إليه الهدايا . يقول ابن عربشاه وهو علم بأحوال بركة وأمور مملكته ؛ أقام في مدينة سراي دار الملك ستين وتزوج بها وولد له فيها أولاد :

« ولما تشرف بركة خان بخيلمة الإسلام ، ورفع في أطراف الدشت<sup>(١)</sup> للدين الحنيفي الأعلام ، استدعى العلماء من الأطراف والمشايع من الآفاق والأكنان ، ليوقفوا الناس على معالم دينهم ، ويصصروهم بطريق توحيدهم ويقينهم . وبذل على ذلك الرغبات ، وأفاض على الواقدين منهم بحار الهبات ، وأقام حرمة العلم والعلماء ، وعظم شعاثر الله وشعاثر الأنبياء . وكان عنده في ذلك الزمان وعند أوزيك خان بعده وجاني بك خان ، مولانا قطب الدين الملامة الرازي ، والشيخ سعد الدين التفتازاني ، والشيخ جلال الدين شارح الحاجبية ، وغيرهم من الفضلاء الحنفية والشافعية ، ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البرازي ومولانا أحمد الخجندی رحمهم الله تعالى . فصارت سراي بواسطة هؤلاء السادات ، مجمع العلم ومعدن السعادات ، واجتمع فيها من العلماء والفضلاء ، والأدباء والظرهاء ، ومن كل صاحب فضيلة ، وخصلة نبيلة جميلة ما لم يجتمع في سواها ، ولا في جامع مصر ولا قراها »

ويقول ابن بطوطة عن مدينة سراي : « وفيها ثلاثة عشر مسجداً لإقامة الجمعة أحدها للشافعية . وأما المساجد سوى ذلك فكثيرة جداً . »

أسلم بركة فشملته أخوة الإسلام الجامعة ، وهدته سنته الرشيدة ، وتبنته الحضارة العظيمة التي اجتمعت عليها عقول المسلمين وأيديهم منذ قرون . وتقطعت الأسباب بينه وبين قرابته من المغول ، وانقصمت بينه وبينهم الأواصر ، ووقفت العداوة بينه وبين ابن عمه هلاكو ، وبارت الحرب بينهما . فأمر بركة جنده الذين كانوا في جيوش ابن عمه أن يخذلوه ويرجعوا فإن لم يستطيعوا فليتوجهوا لتقاء الشام ومصر ليعينوا الملك الظاهر بيبرس على هلاكو . فانظر إلى أمراء المغول الذين شاركوا في تدمير البلاد الإسلامية ، وقتلوا المصريين في عين جالوت

(١) بين دشت قيقان « صحراء القيقان »